معوقات الصحافة الإصلاحية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962

Constraints of the Algerian reformist press during the French occupation 1830-1962

د/ أحلام باي*
أستاذ محاضر (أ) كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري، جامعة قسنطينة 3
beahlem@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/10/24 تاريخ القبول2023/04/27 تاريخ النشر: 2023/06/08

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى رصد وتوصيف المعوقات والإكراهات القانونية -السياسية، التقنية والمهنية والاقتصادية التي تعرضت لها الصحافة الإصلاحية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث لعبت هذه الأخيرة إلى جانب المدارس والمساجد والنوادي الثقافية دورا أساسيا في إعادة بعث القيم الوطنية العربية والإسلامية المناهضة للاحتلال وسياسة الفرنسة، من خلال مناقشة قضايا الأمة ونشر الوعي ومحاولة ترسيخ القيم الأخلاقية والدينية والثقافية للمجتمع الجزائري. ولهذا السبب بالذات وجدت الصحف الإصلاحية نفسها في مواجهة إدارة الاحتلال ما أفضى إلى جملة من المعوقات القانونية-السياسية، المهنية إضافة إلى الصعوبات الاقتصادية، والتي شكلت تحديا كبيرا لصدور هذه الصحف واستمراريتها.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الإصلاحية، الصحافة الجزائرية أثناء الاحتلال، المعوقات.

Abstract:

This article aims to expose the legal-political, technical, professional and economic constraints faced by the Algerian reformist press during the French occupation of Algeria. This press, along with schools, mosques and cultural clubs, played a key role in resurrecting Arab and Islamic national values against the occupation and French policy, by discussing the issues of the nation, awareness and trying to consolidate the moral, religious and cultural values of Algerian society. It is precisely for this reason that the reformist newspapers found themselves confronted by the occupation administration, which led to a

* المؤلف المرسل: د/ أحلام باي، الإيميل: beahlem@yahoo.fr

number of legal, technical, professional constraints, as well as economic difficulties, which posed a great challenge to the activity and continuity of these newspapers.

Keywords: Algerian press during occupation - obstacles and constraints - reformist press

- **مقدمة**

نشأت الحركة الإصلاحية في الجزائر كرد فعل لانتشار الجهل والبدع والخرافات وطغيان الطرقية والانحلال الأخلاقي، ومحاولات إدارة الاحتلال الفرنسي طمس الهوية الجزائرية بمقوماتها اللغوية والدينية والفكرية والثقافية عامة، من خلال تشجيع هذه الظواهر إضافة إلى تعزيز دور الكنيسة والتعليم الفرنسي.

ضمت حركة الإصلاح في الجزائر حركة العلماء المصلحين الأوائل التي ظهرت بداية القرن العشرين، ثم تبلورت ونضجت على يد "ابن باديس" والعلماء المصلحين وتلاميذه خلال العشرينات، وصولا إلى الحركة الإصلاحية الحديثة ممثلة في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" بداية من سنة 1931م، والتي كان اهتمامها منصبا على الإصلاح الديني والثقافي الشامل حيث كانت رائدة النضال الثقافي في مواجهة سياسات الاحتلال الفرنسي الهادفة إلى مسخ مقومات الهوية والثقافة الجزائرية بالاعتماد على سياسة تعليم مضادة تركز على تعليم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة وبعث التاريخ الوطني بما يعزز الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، واعتمدت الحركة الإصلاحية في الجزائر حينها على وسائل متنوعة أهمها المدارس والمساجد والنوادي الثقافية والصحف.

لعبت الصحافة الإصلاحية دورا أساسيا في إعادة بعث القيم الوطنية العربية والإسلامية المناهضة للاحتلال وسياسة الفرنسة، من خلال مناقشة قضايا الأمة ونقد السلوكات السلبية ونشر الوعي ومحاولة ترسيخ القيم الأخلاقية والدينية والثقافية للمجتمع الجزائري. ولهذا السبب بالذات وجدت الصحف الإصلاحية نفسها في مواجهة إدارة الاحتلال بشكل مباشر أو غير مباشر، وهو ما أفضى إلى جملة من الصعوبات والمعوقات القانونية، المادية والمهنية وحتى الاجتماعية والثقافية منها. وتعتبر هذه النقطة جوهر هذا المقال الذي يسعى إلى الإجابة عن التساؤل الآتي:

ما هي المعوقات التي واجهتها الصحف الإصلاحية خلال نضالها ضد الاحتلال الفرنسي؟ وكيف أثر ذلك على صدور هذه الصحف واستمراريتها؟

1- مفهوم الإصلاح والصحافة الإصلاحية:

1-1- مفهوم الإصلاح:

أ-لغة:

كلمة مشتقة من الفعل أصلح، صلح وصلح (بفتح اللام وضمها) وكلها تدل على تغيير حالة الفساد أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضا "يصلح لك" أي يوافقك ويحسن بك، ويقال أيضا "صالح لكذا" أي فيه أهلية للقيام به، وبصفة عامة "الإصلاح" ضد "الفساد" (طهاري، 1999، ص15).

ب- اصطلاحا:

- **الحركة الإصلاحية في الجزائر تاريخيا:**

الحركة الإصلاحية هي مجموعة النشاطات الاجتماعية والثقافية الرامية إلى النهضة ومعارضة الحكم الفرنسي والتي قام بها العلماء المحافظون من خلال الصحف والنوادي والجمعيات التي نادت بحرية التعليم بالعربية وإعادة بعث "تاريخ الأجداد" (سعد الله، 1988،ج2، ص145).

وهناك من يعرفها على أنها :"ردة فعل نتيجة انتشار البدع والاعتقاد بالخرافات وطغيان الطرقية، قام بها مجموعة من الفقهاء المسلمين والعلماء السنيين السلفيين الذين كانوا الرواد الأوائل لحركة الإصلاح الديني والاجتماعي والأخلاقي في الجزائر" (الطالبي،1997، ص18).

والمقصود في التعريفين حركة العلماء المصلحين الأوائل التي ظهرت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ يقول "أبو القاسم سعد الله" (1988،ج3، ص89) في هذا الشأن؛"حركة الإصلاح لم تبدأ بجمعية العلماء المسلمين، فالحركة تعود إلى العقد الأول من هذا القرن (القرن العشرين)، ثم تبلورت ونضجت على يد "ابن باديس" وتلاميذه وأنصاره خلال العشرينات... وبذلك لم يكن ميلاد الجمعية هو ميلاد الإصلاح كما يتوهم البعض".

ومن أشهر العلماء المصلحين الأوائل: "الشيخ صالح بن مهنا" و"عبد القادر المجاوي" الذي خلفه تلامذته كعلماء مصلحين وهم الشيخ "حمدان الونيسي" (أستاذ ابن باديس)، الشيخ "أحمد الحبيباتي" والشيخ "محمد ابن الموهوب" يضاف إليهم "ابن سماية" (الطالبي، 1997، ص9-40).

وتسمى "الحركة الإصلاحية" كذلك "حركة العلماء" و"العلماء هم أولئك الجزائريون المثقفون الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجههم الإسلامي أصبحت لهم أهداف سياسية ووطنية، وبسبب شعورهم بالغربة في وطنهم أصبح هؤلاء العلماء واعين سياسيا ومصلحين دينيا" (سعد الله، 1988،ج3، ص428-429) منهم المصلحون الأوائل "كالمجاوي" و"ابن الموهوب" و"ابن سماية"... وكذلك الحركة الإصلاحية الحديثة ممثلة في "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

وبناء على ما تقدم فالحركة الإصلاحية الجزائرية تضم:

- حركة أو نشاط العلماء المصلحين الأوائل في العقد الأول من القرن العشرين،
- نشاط ابن باديس والعلماء المصلحين وتلاميذه خلال العشرينيات من القرن العشرين،
- نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية من1931م.

- **الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين:**

الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين هو "إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية والوطنية والأدبية والعلمية" من خلال تعليم اللغة العربية والمبادئ الصحيحة للدين الإسلامي، وبعث التاريخ الوطني في المدارس الجزائرية والمساجد والنوادي، إضافة إلى محاربة التجنيس والمرابطية (الطرقية) والمطالبة بالتمثيل النيابي وإلغاء القوانين الاستثنائية من خلال الصحف (سعد الله، 1988،ج3، ص448-449).

ورغم أن المؤرخين المعاصرين قد أعطوا العلماء (جمعية العلماء المسلمين) صفة الدفاع عن العروبة والإسلام وإصلاح الدين والمجتمع، إلا أن "الحقيقة هي أن العلماء كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح، والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كافة مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة" (سعد الله، 1988،ج2، ص93).

2-1- تعريف الصحافة الإصلاحية:

من خلال ما سبق يمكن تعريف الصحافة الإصلاحية على أنها مجموع الصحف الصادرة من طرف الحركات الإصلاحية الجزائرية (قديمها وحديثها) وروادها والمؤيدين لهم سواء كانوا أفرادا أو جمعيات، جزائريين أو فرنسيين مسلمين، وتتمثل في الآتي:

- صحف المؤيدين لحركة العلماء المصلحين الأوائل (بداية القرن العشرين).
- صحف ابن باديس والعلماء المصلحين (العشرينيات من القرن العشرين).
- صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(بداية الثلاثينيات).

ويتسع مفهوم الصحافة الإصلاحية أكثر ليشمل:

- صحف المؤيدين "لجمعية العلماء المسلمين" من الفرنسيين المسلمين .
- صحف المؤيدين "لجمعية العلماء المسلمين" من الجزائريين أو الجمعيات الأخرى

وتتميز هذه الصحافة بخصائص -استخلصت من كتاب ناصر (2007) الموسوم بـ "الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1954"- والمتمثلة فيما يلي:

- تتبنى الصحف الإصلاحية اتجاه ومبادئ وأهداف الحركات الإصلاحية أو المصلحين المؤسسين لها.

- صادرة باللغة العربية أو الفرنسية أو بشكل مزدوج.
- جدية أو هزلية فكاهية.
- صادرة في شكل جرائد أو مجلات وبمختلف الدوريات.
- قد تتخذ عدة اتجاهات فرعية: وطنية، دينية (إسلامية)، اجتماعية أو سياسية.

2- الصحافة الإصلاحية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي وقضايا الأمة

عرفت الجزائر خلال الاحتلال أربعة أصناف من الصحافة هي الصحافة الحكومية، صحافة أحباب الأهالي، الصحافة الأهلية الجزائرية والصحافة الوطنية (الاستقلالية)، وهذه الأصناف لم تظهر دفعة واحدة بل ظهرت متتالية ومتعايشة عبر فترات زمنية إلى غاية الاستقلال بدء بالصحافة الحكومية الفرنسية سنة 1848م، ثم ظهرت صحافة أحباب الأهالي سنة 1882م، تلاها ظهور الصحافة الأهلية (الوطنية) سنة 1893م والصحافة الوطنية الاستقلالية بداية من 1930م (احدادن،2012، ص27).

وتنتمي الصحف الإصلاحية إلى الصحافة الأهلية وهي الصحف التي يقوم عليها الجزائريون من ناحية التسيير الإداري والمالي ومن ناحية التحرير والتوزيع، وكان مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية والشؤون العامة للجزائريين في علاقتهم بالوجود الفرنسي في الجزائر مع الاعتراف المطلق بهذا الوجود.

كانت بداية هذا النوع من الصحافة سنة 1893م عندما تأسست جريدة "الحق" بعنابة (عزي وآخرون: 1992، ص106-107)، توقفت هذه الجريدة بعد عام من تأسيسها لكن الصحافة الأهلية الجزائرية استمرت في الصدور ولو بطريقة متواترة وباتجاهات متعددة فمنها ما كان يدعو للاندماج ومنها ما كان يدعو للمساواة وأخرى إصلاحية وصولا إلى صحافة وطنية استقلالية فيما بعد.

وفيما يأتي رصد للصحف الإصلاحية الصادرة قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين وبعدها، وبمختلف أطيافها، مع التركيز على ظروف إصدارها وتوقفها، وأهم القضايا التي ركزت عليها:

2-1- صحف المؤيدين لحركة العلماء المصلحين الأوائل وقضاياها:

وهي مجموعة من الجرائد والمجلات التي أصدرها جزائريون أو فرنسيون مسلمون مؤيدون للفكر الإصلاحي في بداياته، ونعرض هنا أهمها بإيجاز كالآتي:

أ- مجلة الإحياء(للمستشرقة الفرنسية المسلمة "جان ديرايو"):

هي أول مجلة عربية تصدر في الجزائر، ظهرت في 1907/02/14م بالعاصمة (دي طرازي،1967، ص350)، وكانت مجلة نصف شهرية إصلاحية إسلامية.

كانت أبرز القضايا التي عالجتها تدور حول الدعوة إلى الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية والتخلي عن البدع والخرافات، بل وأكثر من ذلك كانت تدعو إلى النهضة. توقفت المجلة عن الصدور في نفس السنة لقلة الاشتراكات (ناصر، 2007، ص64).

ب- صحيفة الفاروق(لعمر بن قدور الجزائري):

صدرت في 1913/02/18م بالجزائر العاصمة وهي جريدة أسبوعية إسلامية وطنية إصلاحية كانت جل قضاياها تدور حول محاربة البدع والخرافات الطرقية والتنديد بالتفرنس والدعوة إلى التطور متأثرة بأفكار "محمد عبده" الإصلاحية، منعت الجريدة من الصدور سنة 1915 من طرف السلطات الفرنسية(الحرب العالمية الأولى)، لكنها عادت للصدور سنة 1920م في شكل مجلة أسبوعية بنفس الاتجاه ولكن بقوة أقل، واستمرت في الصدور إلى غاية 1921م بعدما اعتزل صاحبها الحياة العامة (ناصر، 1978، ص 234) (ناصر، 2007، ص72-76).

ت- صحف "عمر راسم":

أصدر "عمر راسم" صحيفتين إصلاحيتين هما؛ مجلة "الجزائر" (1908/10/27م) التي اختفت في ذات السنة لأسباب مادية (ناصر،2007،ص67). وأسبوعية **"ذو الفقار"** (1913/10/15م)، التي كان يقوم بأعباء تحريرها وكتابتها ورسم صورها وإخراجها وطبعها لوحده، وتميزت بأسلوبها الناقد الحاد العنيف ومادتها الفكرية وإخراجها الجيد،

أما عن أهم القضايا التي تناولتها فتمحورت حول انتقاد الفساد، محاربة أعداء الدين ومعاداة الصهيونية كما كانت سياستها متأثرة بأفكار "محمد عبده" الإصلاحية، وبسب أفكارها وأسلوبها الحاد تعرضت للتعطيل من طرف إدارة الاحتلال سنة 1914م بعد صدور أربعة أعداد منها (ناصر،2007، ص77-80).

2-2- صحف ابن باديس والعلماء المصلحين وقضاياها

وكلها صحف صادرة باللغة العربية بداية من العشرينيات من القرن العشرين الى غاية تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، أما بعض الأنشطة الصحفية فاستمرت بشكل فردي بعد تأسيس الجمعية مثل صحف "أبي اليقظان و كان بعضها مؤيدا للجمعية وفكرها ونشاطها الإصلاحي.

أ- صحيفة الصديق(لمحمد بن باكير):

صدرت في 1920/08/12م بالجزائر، وأسندت رئاسة تحريرها إلى كل من "عمر بن قدور" و"المولود الزريبي" على التوالي (ناصر، 1978، ص234)، وهي أسبوعية إصلاحية اجتماعية معتدلة كانت تدعو إلى التعلم والتطور والتحلي بالأخلاق الفاضلة، رغم لهجتها المعتدلة تعرضت الجريدة إلى

مضايقة واضطهاد السلطات الحاكمة ما جعلها تتوقف عن الصدور في 1922/03/22 م (ناصر،2007،ص85-87).

ب- صحف "ابن باديس"

أصدر الشيخ "ابن باديس" صحيفتين أسبوعيتين إصلاحيتين بقسنطينة هما؛ "المنتقد" (1925/7/2م)، **و"الشهاب" (**1925/11/9م) بعد تعطيل الأولى في 1925/10/29م بأمر من الحكومة الفرنسية بسبب نشرها مواضيع تؤيد ثورة "الأمير عبد الكريم" في الريف المغربي ضد فرنسا وإسبانيا (ناصر،1978،ص- 234-235) (عزي وآخرون، 1992، ص109).

اتجهت الصحيفتين في سياستهما إلى الإصلاح الديني ومحاربة البدع والخرافات، إضافة إلى مقاومة أفكار الفرنسة والتغريب من خلال ترسيخ معالم القومية الجزائرية لغة ودينا وتاريخا (ناصر،2007، ص95-106). حيث تضمنت مقالات تميزت "بالدفاع عن حقوق الجزائريين وهويتهم الحضارية ومكافحة السياسة التخديرية لبعض الزوايا المشيعة للبدع والخرافات، والعمل على تثبيث اللغة العربية والدعوة إلى التعليم بالعربية الفصحى، مقابل ذيوع التعليم الفرنسي والعربي الدارج والدراسات الإستشراقية و"البربرية"..." (دليو، 2018/04/11).

تحولت الشهاب إلى مجلة شهرية بسبب أزمة مالية، واستمرت في الصدور بهذا الشكل إلى غاية توقفها في أوت 1939 م بأمر من الوالي العام بسبب عدم تأييدها لفرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية (حاج، 2006/09/24) (دليو، 2018/04/11).

ت- صحف "محمد السعيد الزاهري"

أصدر "الزاهري" أسبوعيتين إصلاحيتين هما؛ **"الجزائر" (**1925م) التي ركزت في مواضيعها على دحض خرافة "الحرية–المساواة والعدالة" وفضح عنصرية الاحتلال الفرنسي، لذلك تم إيقافها في نفس السنة التي أصدرت فيها.

أما الثانية فهي أسبوعية **"البرق"(**1927/03/07م) التي صدرت بقسنطينة، وكرست جهودها لتدعيم الحركة الإصلاحية التي قادتها "المنتقد"، وركزت بشكل خاص على محاربة الطرقية، وقد اشتهرت بأسلوب صاحبها الحاد الذي يعتمد على التهكم والسخرية ويصل إلى حد السب والشتم، وهو سبب توقفها عن الصدور (سبتمبر1927م) حيث تم تعطيلها بقرار من الحكومة الفرنسية (ناصر،1978،ص234-235) (ناصر،2007، ص98-138) .

ث- صحف "آل العقبي" (*)

وهي ثلاث صحف صدرت بمدينة "بسكرة"، أولاها؛ أسبوعية **"صدى الصحراء"** (1925م) لـ "أحمد بن العابد العقبي"، وكانت تسعى من خلال مضامينها إلى محاربة الطرقية والإصلاح الديني سائرة في نفس خط صحيفة "الشهاب"، توقفت عن الصدور سنة 1934م بسبب خلافات داخلية ثم عاودت الصدور في ذات السنة، لكنها انحرفت عن اتجاهها الإصلاحي متخذة صبغة سياسية حزبية (ناصر،2007، ص107-110).

أما الثانية؛ فهي أسبوعية **"الحق"** (1926/04/23م) التي أصدرها "علي موسى العقبي" (دي طرازي، 1967، ص264)، وكانت ذات اتجاه إصلاحي غلب عليه الطابع الديني، ورغم شعاراتها الضخمة إلا أنها كانت ضعيفة مضمونا وإخراجا ومقروئية لذلك توقفت عن الصدور بسبب افتقاد المشتركين والقراء (ناصر، 2007، ص 128-130).

وأما الثالثة؛ فهي صحيفة **"الإصلاح"** (1927/09/08م) لـ "الطيب العقبي" (دي طرازي، 1967، ص264)، والتي عملت على محاربة البدع والخرافات، وكانت متذبذبة في دوريتها وصدورها، حيث توقفت بعد صدور عددها الأول لعدم توفرها على مطبعة، ثم عاودت الصدور سنة 1929م بعد إنشاء مطبعتها الخاصة في بسكرة، توقفت بعدها عدة مرات بسبب تعطل مطبعتها، ومرة بسبب الحرب العالمية الثانية إلى أن توقفت بصفة نهائية في 1948/03/03م (ناصر، 2007، ص138-145).

ج- صحف"أبي اليقظان":

أصدر "أبو اليقظان الحاج إبراهيم بن الحاج عيسى" مجموعة من الصحف الإصلاحية تم توقيفها تباعا بسبب تأييدها للحركة الإصلاحية في وادي ميزاب وقسنطينة، و محاربة التنصير والاندماج والفرنسة كما كان لبعضها نزعة استقلالية صريحة رافضة للاحتلال الفرنسي.

كانت أولى هذه الصحف **"وادي ميزاب" (**1926/10/01م) والتي ناضلت على عدة جبهات فكانت تدعو إلى الإصلاح الديني وإحياء الثقافة الجزائرية وتحارب التنصير والاندماج والتجنيس والتعصب والأمية، وتطالب بالمساواة وتدعو إلى الوحدة كما اهتمت بشؤون العرب والمسلمين، (ناصر،1978،ص 335) (بن عمر،2011)، تم إيقافها سنة 1929م بقرار من وزارة الداخلية (ناصر،2007، ص111-122) بسبب سياستها ومضامينها المقاومة لسياسة الاحتلال.

أما ثانيها فكانت أسبوعية **"ميزاب" (**1930/01/25م) التي أوقفت بعد صدور عددها الأول بأمر من الوالي العام "بورد"، خلفتها أسبوعية **"المغرب"** (1930/05/26م) التي كانت مقاومة لأفكار

(*) مصطلح تم اقتباسه عن أ.د/فضيل دليو استخدمه في إحدى مداخلاته ، أنظر (دليو،11 /2018/04). ونستخدمه هنا بعرض العنونة وتجميع الصحف في فئة متشابهة.

الفرنسة والتعصب والجهل، داعية إلى النهضة ورفض الاحتلال الفرنسي (ناصر،1978،ص335) (ناصر،2007، ص147-166).

في سبتمبر1931م صدرت "**النور**"، التي لم تختلف عن جرائده السابقة شكلا واتجاها، إذ كانت تدعو إلى طلب العلم والوطنية والحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، كما عملت على تغطية نشاطات "جمعية العلماء المسلمين" من جهة ونشاطات الحركة الإصلاحية في "ميزاب" من جهة أخرى، كما كان لها انتشار كبير في الوطن العربي. تم إيقافها عن الصدور في ماي 1933م (ناصر،2007، ص166-177)، لتخلفها أسبوعية "**البستان**"(1933/04/27م) التي كانت تدعو إلى الأخلاق الفاضلة ومحاربة الرذائل بأسلوب فكاهي نقدي، كانت موجهة إلى جمهور العامة من محدودي الثقافة، مع الحفاظ على الاتجاه الوطني الإصلاحي. أوقفت عن الصدور بموجب قرار التعطيل الصادر في 1933/07/12م، تلتها أسبوعية "**النبراس**" (1933/07/21م)، التي أوقفت بدورها بقرار تعطيل في نفس السنة (ناصر، 2007، ص212-238).

أما صحيفة **"الأمة"** (1933/09/08م)، فكانت امتدادا لصحيفة "النبراس" ولصحف "أبي اليقظان" الإصلاحية (عزي وآخرون، 1992، ص111).

وقد ركزت في محتواها على "بناء الشخصية العربية المسلمة" وإصلاح الدين داعية إلى محاربة الفرنسة والإدماج، وكانت تغطي نشاط "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" والحركة الإصلاحية في ميزاب، والحركة الإصلاحية في الوطن العربي عامة.

وكتبت عن القضية الوطنية من الناحية السياسية داعية إلى إنشاء حزب وطني جزائري كما ساندت "حزب الشعب"، دون أن تنسى القضايا العربية الإسلامية على رأسها القضية الفلسطينية وحتى القضايا الدولية كما لم يخلو مضمونها من الاهتمام بالفكر والثقافة والأدب. وبسبب نزعتها إلى الاستقلال أوقفت الصحيفة عن الصدور بقرار من وزير الداخلية الفرنسي في 1938/05/24م (ناصر،2007، ص240-264) وتمت مصادرتها .

كانت صحيفة "الأمة" أكثر صحف "أبي اليقظان" استمرارية، تلتها آخر صحيفة **"الفرقان"** التي صدرت في 1938/07/05م (ناصر، 2007، ص328-336) وأوقفت في نفس السنة بعد شهر من صدورها.

الصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1962) وقضاياها

وضمت صحفا باللغتين العربية والفرنسية ناطقة باسم الجمعية ولسان حالها، وهي؛

أ- السنة، الشريعة والصراط:

أصدرت **"السنة النبوية"** في 1933/03/1م بقسنطينة، وكانت لسان حال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " وأول جريدة تصدرها، سعت من خلال المواضيع التي تناولتها إلى نشر الإسلام

الصحيح ومحاربة الخرافات والطرقية، ولكن هدفها الأول كان مواجهة صحافة "جمعية علماء السنة" المنشقة عن "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، تم تعطيل الجريدة بقرار من وزير الداخلية في 1933/07/01م، وعوضت بـ "**الشريعة النبوية المحمدية**" (1933/07/17م)، التي كانت مضامينها تدعو إلى الإصلاح الديني والتمسك بالإسلام والمساواة، لكن لم يكن لها موقف صريح ضد الاحتلال، ورغم ذلك صدر بحقها قرار التعطيل في 1933/08/29م وعوضت هي الأخرى بأسبوعية "**الصراط السوي**" (1933/09/11م) التي أسست لتأكيد مضي الجمعية في اتجاهها الإصلاحي لذلك تم تعطيلها بقرار من وزير الداخلية في 1934/01/08م (ناصر، 2007، ص198-267).

البصائر:

بعد تعطيل جريدة "الصراط" وبعد حجر دام قرابة سنتين، أصدرت "جمعية العلماء المسلمين" جريدة البصائر (1935/12/27م) بالجزائر، وهي أسبوعية إصلاحية لسان حال الجمعية (عزي وآخرون، 1992، ص112).

اعتمدت البصائر على سياسة مزدوجة ظاهرها مسالم للحكومة الفرنسية وباطنها معاد للاحتلال ورجال الطرق والأحزاب المعادية للجمعية، ولم تقتصر مضامينها على الاهتمام بالإصلاح في الجزائر بل تجاوزته إلى الاهتمام بالحركة الإصلاحية في تونس والمغرب، إضافة إلى ذلك اهتمت الجريدة بالحركة الفكرية والأدبية الجزائرية. استمرت في الصدور إلى أن توقفت بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية في 1939/08/25م (ناصر، 2007، ص279-289).

بعد الحرب العالمية الثانية عادت البصائر للظهور بالجزائر العاصمة (1947/11/25م)، واتسمت موضوعاتها بالاتجاه الوطني والأسلوب الرفيع المستوى. واصلت البصائر صدورها إلى غاية 1956/04/06م حيث توقفت بسبب ظروف حرب التحرير في الجزائر (ناصر،2007، ص345-347).

ت- Le jeune musulman:

صدرت في 1952/06/06 تحت إشراف "العربي التبسي" رئيس "جمعية العلماء المسلمين" حينها، وكانت نسخة مكررة عن صحيفة البصائر ولكن باللغة الفرنسية، توقفت الجريدة عن الصدور في 1954/07/30م قبل حرب التحرير الجزائرية (Le centre d'études Assala, 04/11/2010).

2-4- صحف المؤيدين لـ"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وقضاياها

ضمت عدة صحف فردية وأخرى تابعة لجمعيات نعرضها مع الإشارة إلى مضامينها واتجاهاتها في الآتي:

أ- صحف "محمد الشريف جوكلاري":

أصدر الفرنسي المسلم "جوكلاري P. Juglaret" عدة صحف لمساندة "جمعية العلماء المسلمين" أولاها: أسبوعية "**المرصاد**" (1931/12/27م) والتي ركزت في مضامينها على شرح مبادئ "جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين" خاصة ما تعلق منها بإصلاح الدين ومحاربة الخرافات والطرقية كما كانت مناهضة للشيوعية. توقفت الجريدة عن الصدور في 1933/11/08م بقرار من السلطات الفرنسية (ناصر،2007، ص181-190)،رغم كون مالكها فرنسيا بسبب تأييدها للحركة الإصلاحية ممثلة بالجمعية.

أما ثانيها؛ فكانت أسبوعية **"الجحيم" (**1933/03/30م) التي صدرت للرد على جريدة "المعيار" المهاجمة "لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وكانت ذات أسلوب ساخر تهكمي يصل إلى حد البذاءة والإسفاف، لذلك كانت محل انتقاد من طرف الجمعية وباقي الصحف الإصلاحية. توقفت الجريدة عن الصدور بقرار من وزارة الداخلية في 1933/05/03م (ناصر، 2007، ص203-205).

في جانفي 1934م أصدر"جوكلاري" صحيفته الثالثة وهي **"الثبات"** ذات الاتجاه الإصلاحي المساند لـ"جمعية العلماء المسلمين"، كما عرفت بنزعتها الوطنية ومعاداة اليهود ومحاربة الفرنسة. توقفت هذه الجريدة المتذبذبة الدورية لأسباب مادية سنة 1935م (ناصر، 2007، ص267-272)**.**

بعدها صدرت "**الليالي"(**1936م) التي اتجهت إلى انتقاد الفساد الإداري والاجتماعي والانحراف الديني كما كانت مساندة للجمعية، وهو ما أدى إلى اضطهادها من طرف إدارة الاحتلال لتوقفت عن الصدور في مارس1937م (ناصر، 2007، ص289-296).

ب- صحيفة الحياة (لجمعية الوفاق):

صدرت في 1933/04/01م بالجزائر، بإدارة "باسعيد عدون بن بكير" و" محمد الشريف جوكلاري"، وهي صحيفة نصف شهرية ذات اتجاه إصلاحي وطني.

توقفت الجريدة في نفس سنة صدورها بسبب تناولها لقضايا مناهضة للاستعمار ومؤيدة للحركة الإصلاحية (ناصر، 2007، ص205-212).

ت- مجلة التلميذ(للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين الجزائريين):

صدرت سنة 1931م، وكانت لسان حالها، وهي مجلة شهرية انتقادية أخلاقية تصدر بلغة مزدوجة عربية وفرنسية.

وكانت تهتم بقضايا الإصلاح وتدعو إلى نشر التعليم والثقافة العربية الإسلامية في الجزائر إلى جانب تعلم الثقافة الغربية. (سعد الله، 1988، ص113-114) توقفت المجلة عن الصدور في 1933 (ناصر، 2007، ص180-181).

ث- صحيفة La défense (للأمين العمودي):

أصدرها في 1934/01/26م بمدينة الجزائر، وهي صحيفة أسبوعية، كانت تعبر عن اتجاه "الأمير خالد" وهو الاندماج مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية، كما كانت هذه الجريدة تنطق بصفة

غير رسمية باسم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" قبل ظهور صحيفة "البصائر". استمرت هذه الجريدة بالصدور إلى غاية 1938/08/10م (عزي وآخرون، 1992، ص111-112).

3-معوقات الصحافة الإصلاحية الجزائرية الصادرة أثناء الاحتلال الفرنسي

عرفت الصحافة الأهلية عند انطلاقها رعاية خاصة من طرف سلطة الاحتلال الفرنسي ممثلة بالحاكم العام للجزائر "جونار" الذي كان يرى أنه من مصلحة فرنسا أن تسمح للجميع بالتعبير الحر حتى لا تحدث مفاجآت سياسية أو ثورات مسلحة (احدادن، 2012، ص34).

لكن هذه الرعاية السامية سرعان ما تحولت إلى رقابة شديدة خاصة بعد تحول جزء من الصحافة الجزائرية -تتقدمها الصحف الإصلاحية- إلى المطالبة بالمساواة وحقوق الأهالي بداية وبعدها بالإصلاح ثم الاستقلال فيما بعد. وهو ما جعل الصحافة الإصلاحية في مواجهة حتمية مع سلطة الاحتلال أفضت إلى جملة من المعوقات التي شكلت تحديا كبيرا لاستمرارية الصحف المنضوية تحت هذا الاتجاه، وفيما يلي رصد لهذه المعوقات مصنفة كالآتي:

3-1- المعوقات القانونية-السياسية:

نشأت الصحافة الإصلاحية – والجزائرية عامة- في ظل قانون حرية الصحافة الفرنسي الذي كان مطبقا في الجزائر بداية من1881م، والذي نص على أن "كل جريدة أو نشرية دورية يمكن أن توزع على الجمهور بدون رخصة مسبقة أو كفالة مادية" كما نصت المادة (69) منه على أن هذا القانون نافذ أو "ساري المفعول" في الجزائر أيضا... ، وبذلك فقد كانت الصحف الصادرة في الجزائر بعد 1881م خاضعة لهذا القانون لكن معاملة السلطات الفرنسية للصحف غير الحكومية آنذاك كانت معاكسة لروح هذا القانون حيث كان التضييق والغرامات والسجن إجراء معروفا حينها ضد كل الصحف التي تطالب بحقوق الأهالي وتدافع عنهم أو تلك التي تصدر باللغة العربية (ناصر، 1978، ص42-43).

لكن **الصحافة الصادرة باللغة العربية** عرفت وضعا خاصا فكانت الرقابة عليها شديدة حيث كانت سلطة الاحتلال الفرنسي تعتبرها صحافة أجنبية وذلك طبقا للمادة (14) من القانون السابق، والتي سمحت للإدارة الفرنسية باتخاذ جميع الإجراءات الضرورية ضد الصحف الجزائرية الصادرة بالعربية بدون إحالتها مسبقا أمام المحاكم الشرعية كما هو الشأن بالنسبة للصحف الفرنسية حسب ما تقتضيه حرية الصحافة التي أقرها قانون 1881م، فكانت سلطات الاحتلال الفرنسي تستطيع حينها منع النشاط الصحفي باللغة العربية بمجرد قرار يوافق عليه وزير الداخلية لاحقا (احدادن، 2012، ص36).

واتخذت إدارة الاحتلال هذا النوع من القرارات لأول مرة سنة 1925 ضد جريدة "المنتقد" التي أصدرها "ابن باديس" وكان لها اتجاه المشاركة مع مواقف إصلاحية دينية غير أنها سمحت لنفسها بالتعبير عن تأييدها لثورة "الأمير عبد الكريم" في الريف المغربي ضد فرنسا وإسبانيا، فتم منعها من الصدور وكان قرار المنع إنذارا للصحف الإصلاحية الأخرى بأن لا تتعدى خطا معينا في مواقفها السياسية وأن تلتزم نوعا من الانضباط وتحصر نشاطها في الميادين التي ليست لها علاقة بالسياسة مثل ما فعلته جريدة "الشهاب" لاحقا(عزي وآخرون، 1992، ص109).

وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، أرادت أن تصدر صحيفة تعبر عن مواقفها في إطار الصحافة الأهلية غير أن الإدارة الفرنسية لم تسمح لها بذلك وظهر نوع من الصراع بين جمعية العلماء والسلطة الفرنسية، حيث أصدرت الجمعية خلال خمس سنوات الموالية أربعة صحف منعت كلها من الصدور، كما ظهرت ملامح الصراع أيضا بين الإدارة الفرنسية والصحافي "أبو اليقظان" خلال الفترة 1926- 1933م حيث أسس سلسلة من الصحف منعت تباعا من طرف سلطات الاحتلال. و"لم ينته هذا الصراع إلا سنة 1935 عندما بدأت الأوضاع السياسية تتغير في فرنسا بوصول الأحزاب اليسارية إلى الحكم وبرجوع "فيوليت" إلى الولاية العامة للجزائر، فخفت الرقابة نوعا ما" عن الصحف الإصلاحية والصحف العربية الأهلية عموما(احدادن، 2012، ص36).

أما "**الصحف الإصلاحية الصادرة بالفرنسية** فكانت الرقابة عليها أقل صرامة إذ كان من غير الممكن اعتبارها صحفا أجنبية، لكن الإدارة الفرنسية وجدت بنودا أخرى في قانون 1881 سمحت لها بوضع عراقيل مختلفة أمام هذه الصحف" من بينها المادة (6) التي تشترط في المسؤول الإداري للصحيفة أن يكون متمتعا بحقوقه السياسية وهي صفة لم تتوفر في الجزائريين إلا بطلب التجنس بالجنسية الفرنسية(عزي وآخرون، 1992، ص110)، لذلك اضطر الجزائريون الراغبون حينها في إصدار الصحف إلى إسناد إدارتها إلى بعض الفرنسيين (مثال ذلك صحف "جوكلاري").

إضافة إلى هذه المادة كانت هناك البنود من 15 إلى البند 45 من ذات القانون والتي تسمح بإلصاق تهمة معينة بالجريدة -غالبا ما تكون وهمية- لتقدم الصحف أمام المحاكم التي تحكم بمقتضاها على الجريدة بغرامة ثقيلة تضطرها إلى التوقف عن الصدور(عزي وآخرون، 1992، ص110)، وبهذا اختفت العديد من الصحف الأهلية والإصلاحية الصادرة بالفرنسية خاصة خلال الفترة 1925-1933م.

2-3- المعوقات الاقتصادية:

من خلال متابعتنا لتاريخ الصحف الإصلاحية وظروف نشأتها ونشاطها لاحظنا معاناة هذه الأخيرة -على اختلاف ملاكها وممولها- من مشكلات اقتصادية (مالية) أثرت بشكل حاسم على استمرارية صدورها نلخصها في الآتي :

أ- **ضعف التمويل**؛ والذي عانت منه الكثير من الصحف الإصلاحية ومرجعه إلى الأوضاع الاقتصادية العامة للبلاد خلال الاحتلال الفرنسي، لذلك لم يكن من السهل أبدا إصدار الصحف واستمرارها خلال هذه الفترة إن لم تكن الإمكانيات المادية لصاحب الصحيفة جيدة (أغلب ملاك الصحف حينها كانوا ينحدرون من عائلات غنية، ابن باديس مثلا ...).

ب- **الغرامات الثقيلة** المفروضة على الصحف العربية عموما والإصلاحية منها خاصة، والتي أثرت سلبا على استمرارية الكثير من الصحف حيث كانت تضطر للتوقف عن الصدور بسبب عدم القدرة على تحمل تكاليف الإصدار.

ت- **قلة الاشتراكات:** كان إقبال الجزائريين على الصحف العربية ضعيفا، إضافة إلى مماطلة وتأخر المشتركين عن دفع اشتراكاتهم، وذلك بسبب تفشي الأمية ونفوذ رجال الطرق ورجال الدين المتزمتين الذين كانوا يحرمون قراءة الجرائد ويمنعون الناس من مساندتها وتأييدها، لكن **هذا** الموقف تغير لاحقا بعد انتشار التعليم العربي الحر ووعي الجزائريين بمشروع الغزو الثقافي والفكري الفرنسي (ناصر، 1978، ص50-51).

ونؤكد هنا أن قلة الاشتراكات قد أزم بدوره الوضعية المالية للصحف الإصلاحية حينها، ما أثر سلبا على نشاطها وأدى ببعضها إلى التوقف بسبب العجز المالي(مثل جريدة "الحق"،"الجزائر" و"ذو الفقار"...).

3-3- المعوقات المهنية والتقنية:

أصدرت الصحف الجزائرية بما فيها الصحف الإصلاحية على يد صحافيين عملوا سابقا في صحيفة "المبشر" و"النجاح" الحكومية وصحيفة أحباب الأهالي "الأخبار"، هؤلاء الصحافيون أصدروا فيما بعد الصحف الجزائرية العربية مثل "محمد كحول" مامي اسماعيل" و"عمر راسم" و"المولود الزريبي الأزهري"... كما تخرج من هذه الصحف عدد من المترجمين والتقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحافي في الجزائر (احدادن، 2012، ص29).

وواجهت الصحافة الإصلاحية منذ نشأتها "عقبات فنية عديدة مثل فقدان الطباعة العربية أو ندرتها، فإلى غاية 1930م لم يكن يوجد بالجزائر المحتلة سوى خمسة مطابع عربية فقط مما دفع ببعض أصحاب هذه الصحف إلى تحمل مشاق جمة في سبيل إصدار صحفهم؛ فكان "عمر راسم" مثلا يقوم وحده بأعباء جريدته "ذو الفقار" يحررها وينسخها ويرسم صورها ويقوم بطبعها حجريا"، وكذلك كان يفعل "عمر بن قدور" وكان هذا حال كثير من الصحف الجزائرية الإصلاحية وغيرها حتى أن بعضها كان يرسل ليطبع في تونس ليعود ويوزع على القراء في الجزائر(ناصر، 1978، ص52).

4-3-الحروب:

إضافة إلى المعوقات والإكراهات السابقة الذكر، اصطدمت الصحف الإصلاحية الجزائرية الصادرة خلال الاحتلال الفرنسي بعدة حروب فساءت ظروف إصدارها أكثر فأكثر حيث توقف أغلبها عن الصدور خلال الحرب العالمية الأولى والثانية وخلال حرب التحرير الجزائرية أيضا.

- **خاتمة**

في ختام هذا المقال الذي فتح نافذة على تاريخ إحدى أهم فروع الصحافة في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي وهي الصحافة الإصلاحية، والذي رصدنا من خلاله ظروف نشأتها وقضاياها والمعوقات التي واجهت نشاطها، نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

- صعوبة الدور الذي تولته الصحافة الإصلاحية الجزائرية في الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية ونضالها الثقافي والسياسي ضد المحتل الفرنسي بالنظر إلى كم الصعوبات التي لقيتها أثناء صدورها وحجم المعوقات التي واجهتها لضمان استمراريتها.
- تتقدم المعوقات السياسية القانونية على باقي المعوقات التي واجهتها الصحف الإصلاحية حيث ضيقت عليها بشكل قضى على عدد كبير منها في ظرف وجيز (خاصة صحف "أبي اليقظان") ناهيك عن ضعف الإمكانيات التقنية ونقص الخبرة المهنية بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية التي صعبت الأمر عليها أكثر فأكثر،
- إيقاف الصحف الإصلاحية عن الصدور من طرف إدارة الاحتلال كان يتم بموجب القانون الفرنسي حينها، لكن الأمر كان يتم إما بذريعة قانونية أو بدونها، إذا كان يكفي أن تكون الصحيفة صادرة باللغة العربية أو تتبنى أو تدعم الحركة الإصلاحية ليتم إيقافها سريعا بعد صدورها أو اضطهاد أصحابها وقمعهم والتضييق عليهم حتى الاستسلام.
- كان "أبو اليقظان" و"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" و"جوكلاري" المساند لها، الأكثر نشاطا صحفيا، وكانت صحفهم الأكثر إيقافا واضطهادا -تتصدرها صحف "أبي اليقظان"- بسبب رفضهم للاحتلال وتبنيهم صراحة لمبادئ الحركة الإصلاحية.
- عانت الكثير من الصحف الإصلاحية من ضعف التمويل وقلة الاشتراكات، الأمر الذي أثر سلبا على ثبات صدورها، لكن المؤثر الأكبر على استمراريتها كان القمع والاضطهاد من خلال الغرامات الثقيلة التي أدت في الغالب إلى عجزها ماليا.
- لجأت بعض الصحف الإصلاحية إلى الصدور باللغة الفرنسية أو تسليم إدارتها إلى فرنسيين، لتجنب الصعوبات واضطهاد إدارة الاحتلال والاستمرارية أكثر.
- أثبتت بعض الصحف خاصة صحف "جمعية العلماء المسلمين" قدرة أكبر على المقاومة والاستمرارية مع تباين آثار المعوقات بين الصحف الإصلاحية، لكن تبقى لكل صحيفة من

الصحف الصادرة حينها أهميتها الخاصة باعتبارها جزءا من تاريخ الصحافة الجزائرية وتاريخ الجزائر العام.

ونوصي في الأخير بضرورة تدارس تاريخ الصحافة الجزائرية عموما والصحف الإصلاحية تحديدا باعتبارها تجربة خاصة ومميزة.

قائمة المراجع:

1) احدادن، زهير. (2012). الصحافة المكتوبة في الجزائر. (دط). الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.

2) الطالبي، عمار. (1997). آثار ابن باديس م1 ج1. (ط3). الجزائر. الشركة الجزائرية.

3) بن عمر، الحاج موسى. (2011). تاريخ الجزائر من خلال صحف الشيخ أبي اليقظان. تم استرجاعها في تاريخ 2014/09/24 من الموقع الإلكتروني www.aboulyakdan.com .

4) حاج، سليمان. (2006/09/24). العالم ابن باديس وجهاد القلم. تم استرجاعها في تاريخ 2014/09/24 من الموقع الإلكتروني www.binbadis.net .

5) دليو، فضيل.(2018/04/11). "الفترة الذهبية للصحافة الإصلاحية أثناء الاحتلال الفرنسي(1919-1937)" مداخلة بالملتقى الوطني الأول حول "صحافة جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحراك الثقافي الجزائري" . كلية علوم الإعلام والاتصال. جامعة قسنطينة 3. الجزائر.

6) دي طرازي، فليب. (1967). تاريخ الصحافة العربية ج3 .(دط). بيروت. مطابع دار صادر.

7) سعد الله، أبو القاسم. (1988). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ج2. (ط2). الجزائر. دار نافع للطباعة.

8) سعد الله، أبو القاسم. (1988). الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ج3. (ط2). الجزائر. دار نافع للطباعة.

9) طهاري، محمد. (1999). الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ج1. (ط1). الجزائر. دار الأمة.

10) عزي، عبد الرحمان، وآخرون. (1992). عالم الاتصال. (دط). الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.

11) ناصر، محمد. (2007). الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1954. (ط3). بيروت. دار المغرب الإسلامي.

12) ناصر، محمد. (1978). المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها وأعلامها من 1830 إلى 1931 م2. (دط). الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- Le centre d'études Assala. (04/11/2010). le jeune musulman1952-1954 ou l'expérience de l'intellectuel collectif. consulté le 24/09/2014 sur le site www.assala-dz.net .